



● عملت في ساحة تعليمية واسعة
زمانيا ومكانيا، كيف تنظر إلى
هذه المسيرة الحافلة؟ وما الذي
يميز المعلم والطالب بين الأمس
واليوم؟

● ● امتدت بي هذه المسيرة
من سنة ١٩٤٦م إلى اليوم ٢٠١٠م،
أي ٦٤ سنة ميلادية = ٦٦ سنة
هجرية شملت (التعليم الابتدائي،
والإعدادي، والثانوي، ودور المعلمين
والمعلمات، وإعداد المدرسين،
والمعهد العالي للفنون، وكلية
التربية، وكلية الآداب، ومعهد الفتح
(القسم الجامعي)، وجامعة الإمام
بالياض).

هذا، عدا الأعمال الإضافية:
الإدارية والأهلية والمسرح وأدب
الأطفال.

ونقدي الكبير الكبير للتعليم أنه
عامي غالبا منطري ولا يعد الطلبة
لستقبل مأمون.



الدكتور محمد علي محمد الله (الأدب الإسلامي)

لما عجزوا عن الطعن في القرآن التفتوا لاقتحام لغته

من العاملين بصمت في ساحة التربية والتعليم، ومن العاملين بدأب في مجال
اللغة العربية والأدب، لمدة قاربت السبعين عاما.

أخلص لأساتذته ومعلميه فأخلص له تلاميذه والمتعلمون منه، كان حضوره
المفاجئ في مدينة الرياض فرصة لاستضافته في الملتقى الأدبي بالمكتب الإقليمي
للرابطة بالرياض، حيث أمتع الحضور بجديته العذب الهادئ.
واغتنمت مجلة الأدب الإسلامي حضوره وأجرت معه هذا الحوار:



حاوره: أيمن ذو الغنى - سورية

■ لا طموحي أو جموحي، ولا طروحي أو شروحي... قادرة على شفاء جروحي وقروحي.... هذه ليست سجعات بل أنات متواصلات، لأن المسرح مقتول.. سمته غازات سامة جاءت من الغرب.

■ أقول لكتاب مسرح الأطفال: من أسباب زهد الأطفال بمسرحياتهم أن الحوار فيها أكثر من الأحداث.

متواصلات، لأن المسرح مقتول.. مقتول.. مقتول.. سمته غازات سامة، جاءت من الغرب للكبار، ومن التلفاز للصغار، أما مسرح الأطفال فما دعيت لأراه قبل العرض أو خلاله إلا مسرح مدينة دوما (الثقافي) في عروض (دار العربية)، ومسرح (مدرسة إيلاف) في مدينة (دمر) الجديدة. لماذا؟ لأن النقد - إن وجد - فهو ضحل أو (غير مرغوب فيه). ولهذا بتنا لا نسمع من أخبار الفن المسرحي سوى الحشرة. وباختصار أقول للكبار: ترجمتم مسرحيات غربية وقدمتموها للوسط العربي، فليتكم - من أجل نجاح أكبر في أعمال لاحقة - أشمتموها عطرا عربيا مع التلميح لذلك لدرء مغبة (الحقوق المحفوظة) وباختصار أقول أيضا لكتاب مسرح الأطفال: من أسباب زهد الأطفال بمسرحياتهم أن الحوار فيها أكثر من الأحداث، علما أن الإضحاك بالنكتة المنطوقة أضعف وأبرد من الإضحاك بالحدث أو الحركة أو الصورة، والإضحاك بالعبارة الطويلة أضعف من القصيرة، وهو بالأنشودة الغنائية الملحنة ضعيف أيضا، إلا إذا قل المنشدون الممثلون، وقصر النص جدا، وكثر التكرار فيه ليتمكن الأطفال أن يوهمو أنفسهم بأنفسهم بأنهم ينشدون مع الممثلين المنشدين. أما موقع (الفن المسرحي) من الفنون الأدبية - كما جاء في سؤالكم - فهو مختلف باختلاف الكاتب وطريقته، ولكنه يبقى دون الشعر مكانة، لأن الشعر مهيب غني

● لك عناية خاصة بأدب الأطفال من خلال الجمعية التي أسست لها في اتحاد الكتاب العرب والسلاسل التي أصدرتها. نرجو إعطاء القارئ لمحة عما قدمته للأحبة الصغار. وكيف تنظر إلى ما يقدم للطفل الآن من أعمال مقروءة ومسموعة ومرئية.

● ● ظهرت جمعية أدب الأطفال في الاتحاد سنة ١٩٩١، أما سلاسل للأطفال على أربعة مستويات عمرية فقد بدأت سنة ١٩٨٠، وأبرز إيجابياتها النقاء اللغوي والأسلوب، والتربوي، واشتماله على معظم المواد التعليمية، وغلبة الواقعية المقبولة، ولا سيما في الصور، ونوع الخط وأحجامه، وعدم الاكتفاء بتسليية الطفل، وأنكر المنكرات فيما هو سائد - للأسف - (السلبيات) وعلى رأسها (القتل والإرهاب) في عنصر الحركة، والتشويه الشديد للمخلوقات في عنصر الرسم.

● عملت في الفن المسرحي تعليمًا وكتابة وتمثيلًا، هل بلغت في ذلك ما يرضي طموحك، وأين يقع هذا الفن الآن بين الفنون الأدبية المعروفة؟

● ● والله يا ابن الكرام، لا طموحي أو جموحي، ولا طروحي أو شروحي... قادرة على شفاء جروحي وقروحي... أفلا أقول الآن (سجعا) ولا هذه كلها سجعات بل أنات



د. حمد الله في سطور



باتحاد الكتاب العرب.
- قدم دروساً تعليمية في التلفاز السوري على مدار ١٤ عاماً.
- اختير خبيراً تربوياً في الشرق الأوسط من قبل منظمة اليونسكو مدة ٩ سنين.
- كتب الشعر والقصة والمسرحية، وشارك في التمثيل المسرحي والتأليف الموسيقي في شبابه.
مؤلفاته:

ابن زيدون ورسالتاه، الأسلوب التعليمي في كلية ودمنة، النحو والصرف لوزارة التربية السورية، شرح المعلقات السبع، للزوزني (تحقيق)، سلاسل الفكر، أكثر من أربعين قصة ومسرحية للأطفال، له ديوان شعري (مخطوط)، ونشر عدداً كبيراً من المقالات والتقصيص والقصائد في الصحف والمجلات.

- ولد بدمشق سنة ١٩٢٨م.
- تخرج في كلية الآداب بجامعة دمشق سنة ١٩٥٧م، ودبلوم التربية سنة ١٩٥٨م.
- درس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض؛ وفي كليتي التربية والآداب بجامعة دمشق سنوات طويلة، وفي المعهد العالي للفنون المسرحية، ودار المعلمين.
- مؤسس جمعية أدب الأطفال

رغم افتقار الصورة واللون والحركة والصوت (البشري والطبيعي والموسيقي) نقول: مكانة الشعر أعلى لأنه يعطيك الصورة من غير رسوم، ويصف الحركة من غير متحرك، ويصنع الموسيقى من غير وتر، ويدفع السامع إلى التفني من غير غناء، ولا يقدر على كل ذلك إلا قدير.

زد على ذلك أن الشعر يشعرك بانفصاح المدى والرؤى رغم ضيق المكان في صفحة أو صفحات دون خلفية ملموسة كالتجسس استجبت باختراع المسرح الدوار والمسرح المتحرك.

● ماذا لديك من الإبداع الشعري والقصصي؟ وبمن تأثرت فيهما؟
● نظمي للشعر قليل حرصاً على أسلوب النثر، ومن كتب في الصناعات يعترف أن سلطان الشعر على النثر أقوى.. لذلك بادرت إلى الإقلال من النظم، وإن نظمت.. فأبيات.

وكان لدي منذ الشهادة الثانوية دفتران، سميت الأول (على أوتار الغناء) - وهو للأغاني العامة والزجل - وسميت الثاني (على أوتار القلوب) وهو للشعر والرجز وفيه مقطوعات من (غزل عفيف، وغزل لطيف، وإخوانيات ذات مداعة، ونجوى ذاتية، و«اسكتش» حوارية مدرسية، وآخر غنائي، وأحجية ونشيد مدرسي). وكان تأثري بغيري ضئيلاً

● لا، لا أتابع مسيرة الشعر الحديث لأنني - بصراحة - لست شاعراً. أما حال الشعر الحديث فلن أقول لأهله سوى: (ضيق الصياد الغزال فعاد إلى قومه بقتل) والمعروف أن القنفذ لا يصاد إلا إذا بال صياده عليه، وانظر كتاب الحيوان للجاحظ.

● تتنازع أدبنا العربي الحديث تيارات كثيرة في اتجاهات مختلفة

جداً، لأن (التأثر) تبعية أو اعتقال، فبرئت منهما بطبعي الخاص، اللهم إلا في أبيات تشم منها رائحة شعر (البهاء زهير) و (ابن سودون) وهما من عصر متأخر، لا لشعرهما، بل لدعابتهما، ولأن حياة من لا يضحك نصف ساعة في اليوم ليست حياة.

● هل تتابع مسيرة الشعر العربي الحديث؟ وما رأيك فيما آلت إليه حاله؟

■ ما تنشره مجلة الأدب الإسلامي جيد جدا، لأن طريقها واضح لها وللناس جميعا، وما كانت لتعمل بغموض أو خصوص.

سفحا...وعندئذ لن تكون إزاء الخاطئين بحاجة إلى تهديد أو وعيد، أو إغراء بجائزة، إذ حسبها عشرون سبيلا للعمل هي التي بسطناها الآن، وتعرفها الرابطة.

هذا، ومجلة الأدب الإسلامي - كما سمعت وشاهدت، تسنح لها الفرص مرارا فتفعل الكثير وتعلن عن كثير... أجل... هي تفعل ذلك كلما سنحت فإن لم تسنح (سنحتها) عن طيب خاطر بلا ضاغط ولا مضغوط.

● هل تتابع مجلة الأدب الإسلامي،
وما رأيك فيما تنشره؟

● رأيي فيما تنشره مجلة الأدب الإسلامي أنه جيد جدا، لأن طريقها واضح لها وللناس جميعا، وما كانت لتعمل بغموض أو خصوص. حتى موضوعات منشوراتها عامة ينتفع بها كل أحد، وستؤول إلى أحسن إن شاء الله، شعرا ونثرا، قصة وحوارا، ماضيا ومستقبلا، تاريخا ومعاصرة لكي تصلح لكل بلد عربي أو إسلامي وغيرهما، والحمد لله على الصفاء وحسن الاصطفاء الواضحين فيها.

● بعد انتقال رسول هذا الدين وناشره (صلى الله عليه وسلم) انتقل واجب الرسالة ونشر الرسالة إلى المؤمنين جميعا ولا سيما القادرون على فقهه وعلى وسائل بقاءه عزيزا، وفي طليعة هؤلاء: المعلمون والمؤلفون والكتاب والخطباء والأدباء وأولياء الأمور والراعون لنشأة الأجيال. ولكن كثرة من الناس راحت تقول بأفواهها وربما بخواطرها وظنونها نحن لسنا أنبياء، وليس علينا أن نلتفت إلى إسلام الناس وأفعالهم، بل نتركهم وشأنهم ما دام المثل يقول: (كل عزة معلقة من كراعيبها)؛ ولكن قد يكون القانعون بهذا المثل من التائبين حقا، فماذا نقول لهم؟ نقول لهم: توبتكم مقبولة والله أعلم، ولكنكم لم تستتيبوا أحدا بنصح ولا بإغراء، ولو فعلتم لانفتحت لكم فرجة - هي فرصة ذهبية - تمررون منها إلى الفردوس جزاء نصح أو حديث أو قصيدة تجلجل أو تزلزل فتعتدل القلوب التي في الصدور... تعتدل في جلستها أدبا وخشوعا، حوقلة وبسمة، توبة وإنابة، تكبيرا واسترجاعا، استعاذة واستغفارات تسفح الدموع

يمكن تلخيصها بالالتزام وعدمه،
ما رؤيتك الخاصة في هذا الشأن؟

● أعذر عن الولوج في الالتزام وعدمه لأن الكرة لو ثبتت في إحدى الشبكتين، واستقرت فيها لانتهت اللعبة، وهم يريدون لها ألا تنتهي، واسألوا أهل الأمثال: (هل تنتهي أغنية الشيطان).

● اللغة وسيلة الأديب لإيصال شعره أو نشره إلى القراء، فهل أحسنت هي هذا الإيصال في هذا العصر؟

● أولا: هذا تحجيم لوظائف اللغة، فيها نزل القرآن، وبها يتشائم الناس.

ثانيا: هي للأديب وغيره.
ثالثا: أحسنت قديما بحرص الناس عليها، ولقد تبارزوا بها كتبارزهم بالسيف والرمح والنبال ولما فقدنا هذا الحرص اقتحمتها لغات العالم.

أعني: لما عجز غيرنا عن طعن القرآن في صميم معانيه ومراميهِ التفتوا لاقتحام لفته، وهكذا فعلت أوربة في شعوب شمالي إفريقية. ويخطئ من يقول: (ليست اللغة من الدين) ثم يؤذن ويصلي بالعربية. وهذا طبيعي، أو لم نر الآخرين يرتلون كتابهم بالسريانية وما هم سريانئون؟

● كيف ترى مسيرة الأدب الإسلامي،
وما الدور المنوط به؟



د. محمد وليد - سورية

رسالة عتاب

«رسالة عتب إلى القصيدة .. التي ما عادت تزورني إلا قليلاً...»

أنا أهواك من عهد بعيدة	فلماذا هجرتني.. يا قصيدة
كنت في لجة القريض سعيدا	غارقا في الهوى وكنت سعيدة
صاغ قلبي هواك شعرا وفنا	وزهور الربيع كن شهودة
ومضى يسكب العطور على الو	دأشواك الورود تدمي خدوده

* * *

قدرتي أنت في الهوى يا قصيدة	وتر في اللهاة غنى نشيدة
أنت قيدي فهل رأيت فؤادا	غير قلبي أحب فيك قيودة
لا تصديه إنه صادق الوعد	د وقلبي ما خان يوما وعوده
هل رأيت الهزار يبقى هزارا	حين يلقاك هاجرا تغريده
أو رأيت الربيع يبقى ربيعا	عندما يهجر الربيع وروده
لا تقولي غاصت ينابيع قلبي	فبقلب الينبوع تلقين غيدة
لا تقولي خبت بروقي ورعدي	إن ماء السحاب يخفي رعوده

أنا أشكوك للقريض محبا

ثم أشكو إلى الحبيب صدوده

إن فقدت القريض سوف أناجي
سأجوب القفار بعد الضياء
سوف أرقى الغيوم حتى أراه
فإذا ما أعدته عدت نفسي
إنني الشعر صار شعري كياني
هو أنسي إذا بثت همومي
هو فجرى إذا ادلهم ظلامي
هو ضوئي في آخر النفق المسد
هو صوتي الحر الذي لا يبالي
هو نار تكوي الفؤاد ولكن

سائلا عنه كل روح شريفة
وسأسعى خلف البحار البعيدة
ثم أرقى النجوم حتى أعيده
إيه يا نفس ما خلقت وحيدة
وكياني قد صار محض قصيدة
هو أمن لنفسي المكدودة
هو إشراقة الصباح الوليدة
دود تأوي إليه نفسي الطريفة
كتب الحق نحسه أم سعودة
لست أرضى في الحب إلا مزيدة

آنسني في وحشتي يا قصيدة
حينما كنت والزمان شباب
تملاً السمع والفؤاد طيوري
أجتني العطر من رحيق القوائ
وأماناً في السماء تجوب الد

واذكري لي أيام أنس رغيدة
وشباب الزمان يغني وعوده
بصدي زقزقاتها الغريفة
عندما تخطر القوائ في الشروء
كون تحيا خلف النجوم البعيدة

آنسني في غربتي يا قصيدة
حلقي في سماء روعي وكوني
واكتبيني حروف شعر وضوء
يسكن الشعر بين أهداب جفني
عرف الحب في بريق عيوني

واسكبي لي كؤوسك المعقودة
أملني في شروق شمس جديدة
يجد المرء في سناها خلوده
ثم يغفو ويستطيب رقوده
فمضى واستحال فيها قصيدة





د. حلمي محمد القاعود - مصر

بحكم الظروف الحضارية في الغرب، فإن القوم هناك لا يتوقفون عن البحث، ومحاولة الوصول إلى المناهج والطرق النقدية التي تفسر النصوص الأدبية والظواهر الاجتماعية، وفقاً للمعطيات والمستجدات التي تحكم الواقع الغربي، على المستوى المادي والصعيد الروحي.. ولم تكن البنيوية والتفكيكية آخر المطاف بالنسبة لهم، فقد ظهرت اتجاهات أخرى جديدة، تحاول أن تتجاوز القصور فيما سبق، وقد دخل علماء الاجتماع والفلاسفة والمؤرخون بقوة، إلى جانب نقاد الأدب ومدارسه السائدة.. وفي هذه الاتجاهات تبدو خيوط العودة الدائرية إلى ما سبق الحدائث واتجاهاتها المتعددة؛ فضلاً عن أن كثيراً منها - إن لم يكن كلها - تتداخل، ويبدو التمييز بينها شبه صعب، ودقيقاً..

اتجاهات نقدية معاصرة

ويمكن القول: إن هذه الاتجاهات الجديدة، تعود بقوة إلى النقد الاجتماعي، في إطار ما يسمى الماركسية الجديدة، التي تجعل للظروف الاجتماعية وعوامل البيئة والمؤثرات الخارجية، دوراً مهماً في فهم النصوص الأدبية وتفسيرها، فهناك الماركسية الجديدة، والشكلية الروسية، والتأويل، والتلقي، والحوارية، والسيموطيقا، والتحليل النفسي، ثم التاريخية أو التاريخانية الجديدة، والنقد الثقافي، والنقد النسوي، وما يعد اتجاهات تكاملياً، وإن لم يفصح أصحابه عنه.

النقد الثقافي

ظهر النقد الثقافي في الغرب، في صورة رد فعل ضد فوضى التفكير وعدميتها، باتجاهاتها المختلفة: الماركسية الجديدة، والمادية الثقافية، والتاريخية الجديدة، وما بعد الكولونيالية، والنقد النسوي..^(١).

ويعد الناقد الأمريكي (من أصل عربي) إدوارد سعيد من أبرز كتاب النقد الثقافي في تحديده للمنطقة

الوسط بين البنية الفوقية للنص، وبنيتها التحتية من ناحية، والنص بوصفه صومعة راهب - لا بد أنه مؤلف النص - حيث يكون البعد المهم هو البعد الداخلي للنص فقط. لا بد من وجود منطقة وسط يمكن عندها التعامل مع اللغة الأدبية بلاغياً، دون عزلها عن القضايا الأكثر إلحاحاً للحياة اليومية كما يقول هيليس ميللر^(٢).

وقد كانت مجلة «النقد الثقافي» التي ظهرت في جامعة «مينسوتا» عام ١٩٨٥م هي الأرضية العريضة التي تأسس عليها التفسير الثقافي بصفة عامة، حيث تلقي الدراسات الأدبية والفلسفية والأنثروبولوجية والاجتماعية والجمالية^(٣).

المصطلح:

ويربط مؤلفا «دليل الناقد الأدبي» بين التاريخية الجديدة أو «التاريخانية الجديدة» و«التحليل الثقافي» الذي أخذ ينمو في نهاية السبعينيات ومطلع الثمانينيات من القرن العشرين، على يد مجموعة من النقاد في مقدمتهم «ستيفن جرينبلات» الأستاذ بجامعة كاليفورنيا - بيركلي، حيث أطلق على التحليل الثقافي

لقد دفعت فوضى الاتجاهات الحداثية، أو ما بعد الحداثية، وعدميتها؛ نقاد الغرب إلى محاولة الخروج من أسر النصوص، وموت المؤلف للخروج إلى ما رواء النص في محاولة لاستكناه ما يحمله من دلالات ومعان ذات صلة بالمؤلف والمجتمع معاً، وهي محاولة كما نرى تصب في اتجاه العودة إلى «النقد القديم بصورة معاصرة، ترتبط بأصحاب الاتجاهات الجديدة.

والمشكل في نقدنا العربي المعاصر، أن كثيراً من نقادنا العرب، وقعوا في أسر النقد الغربي منذ عقود، وهو أسر لم يتح لهم أن يهضموا نظرياته الحقيقية التي تسهم في بناء نظرية نقدية عربية، تتوافق مع طبيعة اللغة العربية وخصائصها ومميزاتها. ولعل هذا ما جعل النقد العربي الراهن يدور في حلقة مفرغة من القراءات غير المجدية، والتفسيرات العقيمة التي تزيد النص غموضاً وعماءً، بدلاً من إضاءته وتثويره، وهو ما يدفع بعض النقاد بطريقة وأخرى،

إلى رفع لافتة «أزمة النقد العربي»؛ مع أن هذه الأزمة لها أسباب متعددة، من بينها بالضرورة التماهي مع النظريات النقدية الغربية، دون وعي أو هضم أو فرز.

ولعل تناول بعض الاتجاهات النقدية الأخرى فيما يلي من صفحات، يضيء لنا أحدث التحولات النقدية في الغرب، وعلاقتها بواقعنا النقدي في العصر الحديث، وسنتوقف عند بعضها أو أبرزها كما نتصور:

النقد الثقافي.

النقد النسوي*.

الاتجاه التكاملي.



إدوارد سعيد



معاصرين وقدامى، وبعض المواقف التي اتخذها بعض الحكام العرب.

بيد أنه يعيد التساؤل حول الشعر العربي والثقافة العربية: هل في ديوان العرب أشياء أخرى غير الجماليات التي وقفنا عليها - نحن العرب، وحق لنا - لمدة قرون ٩٠٠ وهل هناك أنساق ثقافية تسربت من الشعر وبالشعر لتؤسس سلوكاً غير إنساني وغير ديمقراطي؟

ويؤكد الغدامي إجابته بالإثبات، من خلال تأويل النماذج الشعرية التي أكثر منها، وما يسميه فكرة

«الفحل» وفكرة «النسق الشعري» بوصف ذلك دعماً للسلوك غير الإنساني وغير الديمقراطي في الثقافة العربية، وبذا كانت الثقافة العربية - بما أن أهم ما فيها هو الشعر - وراء شعرنة الذات، وشعرنة القيم..^(٦).

ومع أن هذا التأويل يبدو مغرقاً في الخيال، وبعيداً عن طبيعة الواقع التاريخي والجغرافي: الذي صيغت فيه هذه النماذج الشعرية وغيرها، إلا أنه يكشف من خلال الأسئلة التي

طرحها عن مفهوم «النقد الثقافي» في تصوّره، انطلاقاً من مرحلة ما بعد الحداثة، والرواية التكنولوجية، والنقد المؤسساتي، والتعددية الثقافية، ثم التاريخانية الجديدة (الجماليات الثقافية).

الفلسفة الجاهلية والنقد الثقافي:

ويبدو أن المشتغلين بعلوم الفلسفة في بلادنا العربية قد وجدوا في النقد الثقافي بغيتهم أيضاً، فاهتموا به واعتمدوا عليه في تفسير بعض الظواهر، وقد أنتج بعضهم في السنوات الأخيرة بعض الدراسات التي طرحوا فيها تصوّراتهم للنقد الثقافي مع التطبيق على

مصطلح «شعرية أو بويطيقيا الثقافة» غير أن مصطلح «التحليل الثقافي» فرض نفسه بوصفه تسمية إجرائية ملائمة.

والتاريخانية الجديدة إفراز لما بعد البنيوية، وتضم عناصر هيمنت على اتجاهات نقدية أخرى، مثل الماركسية، والتقويض، وأبحاث الأنثروبولوجيا الثقافية وغيرها، لقراءة النص في إطاره التاريخي الثقافي، مع ملاحظة تأثير الأيديولوجيا وصراع القوى الاجتماعية في تشكيل النص، حيث تتغير الدلالات وتتضارب حسب المتغيرات التاريخية والثقافية.



جرينبلانت

وقد حدد «جرينبلانت» معالم هذا الاتجاه بذهاب التحليل الثقافي الكامل إلى أبعد من النص للربط بين النص بالقراءة الفاحصة لاستعادة القيم الثقافية التي امتصّها النص الأدبي، ونتيجة لهذا يمكن تكوين صورة للثقافة بوصفها تشكيلاً معقداً، أو شبكة من المفاوضات لتبادل السلع والأفكار، بل وتبادل البشر أيضاً من خلال مؤسسات مثل الاسترقاق، والتبني، والزواج^(٤).

جناية الشعر العربي:

ومن هذا المنطلق يتساءل «عبدالله الغدامي» - أبرز من روجوا للنقد الثقافي في البلاد العربية - عما يسمى الحداثة العربية، وهل هي حداثة رجعية؟ وهل جنى الشعر العربي على الشخصية العربية، وهل هناك علاقة بين اختراع ما يسميه بالفحل الشعري و«صناعة الطاغية»؟^(٥).

يجيب الغدامي في ثنايا معالجته للنقد الثقافي على هذه الأسئلة بـ «نعم»، وذلك من خلال نماذج لشعراء

الآخر: الاتفاق على التعريفات الخاصة بالمفاهيم (التكافؤ القياسي).

ولا يغفل «قنصوه» أنه يسير وفقاً لخطا (ماركس) لبلوغ المستوى العلمي، بيد أنه لا يتوانى عن رفض النظرية الماركسية؛ إذا تغيرت الأوضاع القائمة والمؤثرة، فهي ليست لاهوتاً ولا فلسفة، لأن العلوم تتجاوز بعضها، وتنتقل من مرحلة إلى أخرى^(٧).

خصائص:

وأياً كان الأمر؛ فإن مصطلح «النقد الثقافي» ينتمي في الأساس إلى «فينيست ليتش» حيث يطرحه مرادفاً لمصطلح ما بعد الحداثة، وما بعد البنيوية، حيث نشأ الاهتمام بالخطاب بما أنه خطاب، وهذا ليس تغييراً في مادة البحث فحسب، ولكنه أيضاً تغيير في منهج التحليل^(٨).

ويطرح «لتش» مجموعة من الخصائص للنقد الثقافي، تتضح في:

- الانفتاح على مجال عريض من الاهتمامات تتجاوز ما هو محسوب ضمن المؤسسة، وإلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة، سواء كان خطاباً أو ظاهرة، ولا يوضع النقد الثقافي في إطار التصنيف المؤسساتي



صلاح قنصوه

للنص الجمالي.

- الاستفادة من مناهج التحليل المعرفية مثل تأويل النصوص، ودراسة الخلفية التاريخية، والموقف الثقافي النقدي، والتحليل المؤسساتي.
- التركيز على أنظمة الخطاب والإفصاح النصوي، كما هي لدى بارت وديريدا وفوكو، وخاصة في مقولة «ديريدا»: «أن لا شيء خارج النص». وهي مقولة يعدها «ليتش» بروتوكولاً للنقد الثقافي المابعد بنيوي، ومعها مفاتيح التشریح النصوي عند «بارت»، وحفريات فوكو..

بعض النصوص الأدبية، ومنهم «صلاح قنصوه»؛ الذي أصدر دراسة بعنوان «تمارين في النقد الثقافي»، حاول فيها بحكم أنه أستاذ فلسفة علم الجمال، أن يقلص الفجوة بين المثقف والقارئ العادي. ويعرف «قنصوه» النقد الثقافي بأنه:

«ممارسة أو فاعلية تتوفر على درس كل ما تنتجه الثقافة من النصوص، سواء كانت مادية أو فكرية» ومعنى النص هنا كل ممارسة قولاً أو فعلاً تولد معنى أو دلالة.

وقد خصص قنصوه القسم الأول من دراسته

للتناول النظري الذي يوضح مفهوم النقد الثقافي، ومعنى الثقافة ومستوياتها التي رآها تنحصر في:

أ- ثقافة الجلد، أي العرق والدين واللغة.

ب - ثقافة المشترك القومي (الموروث القومي).

ج - الثقافة المعاصرة للمجتمع أو الأمة.

لقد أقام قنصوه كتابه على أساس رياضي، محاولاً الاقتراب من «العلمية المحضة»، فبدأ بالنظرية

ثم التمارين المحلولة، ثم التمارين التي تختبر مستوى القارئ..

ثم إنه يستخدم مجموعة من الجمل والأمثال الشائعة والمتداولة بين العامة لإثبات آرائه، والتأكيد على أنها آراء العامة أيضاً، وليس من الناقد المثقف فقط.

ويشترط «قنصوه» شرطين لتحقيق نظريته: الأول: وجود خطوات وإجراءات يعتمد عليها الباحث (التوافق المنهجي).



أحد فحول الخطاب الثقافي الذي ينتسب إلى المؤسسة الثقافية الرسمية، فضلاً عن كونه مكتوباً للملوك ومن يُوصفون بالعقلاء^(١١).

وبناء على فكرة «الأنساق المضمرة» يصبح الشعر العربي؛ هو المخزن الخطر لهذه الأنساق، وهو الجرثومة المستترة بالجماليات التي ظلت تفعل فعلها، وتقرز نماذجها جيلاً بعد جيل في كل التجليات الثقافية شعراً ونثراً^(١٢).

فكل شاعر قديم له نصان، أحدهما أشماره المروية، والآخر ما يدور حوله من قصص مبنوثة في الكتب. وهذا النص الأخير أهمله النقاد، وهو مختلف تماماً عن الأول، لأنه يكشف الهامشي والإنساني، والذي يختلف عن لغة الأنا المتعالية وصورة الواحد المنفرد.. وبناء عليه فالمتنبي مبدع عظيم أم شحاذ عظيم؟ وهل صنعت الطبقات الثقافية الأب الأول، أو الأب الصنم البلاغي؟ وأبوتام هل هو شاعر رجعي؟ وهل عادت فكرة الفحل لدى نزار قباني، والرجعية لدى أدونيس؟

هذه الأسئلة وغيرها، يتوسع الفذامي في مناقشتها، ويجب عليها بالإثبات دون النفي، ليدين الثقافة العربية كلها التي تنتج الطاغية والفحل والفرد الصنم^(١٣).

سبعة عناصر:

ويحدد الفذامي - وفقاً لما وضعه ليتش - سبعة عناصر أساسية في تحليل النصوص اعتماداً على النقد الثقافي، هي:

- ١ - الرسالة التي ينقلها النص.
- ٢ - المجاز ووظيفته في النص.
- ٣ - التورية الثقافية.
- ٤ - نوعية الدلالة الفكرية التي يركز عليها النص.
- ٥ - الجملة النوعية.
- ٦ - المؤلف المزدوج.
- ٧ - علاقة النص بالنسق الفكري السائد^(١٤).

ويقترح «ليتش» تطوير ما سماه فوكو (الأنظمة الحقيقية) إلى (الأنظمة الفعلية وغير الفعلية) بدلاً عن مصطلح الأيديولوجيا المحمل بدلالات سياسية، بهدف فتح إمكانات أوسع للنقد الثقافي ما بعد البنيوي^(١٥).

النسق المضمّر:

لقد اجتهد «الفذامي» في تطوير الخصائص التي طرحها «ليتش» لبلورة طبيعة النقد الثقافي من خلال ما يسميه نظرية النسق المضمّر، وهو نسق ثقافي وتاريخي؛ يتكون عبر البيئة الثقافية والحضارية، ويتقن الاختفاء من تحت عباءة النصوص، ويكون له دور سحري في توجيه عقلية الثقافة، وذائقتها ورسم سيرتها الذهنية والجمالية.. إنه يبحث عما وراء الجماليات من أنساق مضمرة في النصوص.

وثمة ملحظ مهم، يحتم التمييز بين النقد الثقافي والدراسات الثقافية، مثلما يتم التمييز بينه وبين النقد الأدبي.

يرتب الفذامي على ذلك هدفاً واضحاً للنقد الثقافي، وهو البحث في العيوب النسقية للشخصية العربية «المتشعنة» و «الشعنة» رديف لمفهوم السلبية سواء في الذات العربية أو قيمها، وخاصة في الصراع بين السلطة والمجتمع، أو بين الهيمنة والاستقلال..

ومن ثم يهاجم الفذامي النقد الأدبي، ويراه قد استنفد أغراضه بعد أن أوقفنا - نحن العرب - أو أوقع نفسه في حالة من العمى الثقافي العام (١) عن العيوب النسقية المختبئة تحت عباءة الجمالي الذي اهتم به على مدى القرون الطويلة حتى صارت نماذجنا الراقية بلاغياً؛ هي مصادر الخلل النسقي^(١٦).

لقد صارت «ألف ليلة وليلة» وفقاً لخطاب المؤسسة الثقافية وميراثها البلاغي والجمالي غير لائقة إلا بالصبيان والنساء وضعاف النفوس، في الوقت الذي صارت فيه «كليلة ودمنة» ذات مكانة عانية، لأن كاتبها

نقد شمولي وحضاري :

وكما نرى، فالنقد الثقافي يعود بنا إلى ما يمكن تسميته بالنقد الشمولي، الذي يجعل «الاجتماعي» سابقاً على «الجمالي»، ويعتمد على التأويل المفرط الذي يستنبط نتائج تخدم «الأيدولوجيا» أكثر مما تخدم «الفني» و «الإبداعي». كما يذكرنا بمقولة ابن سلام الجمحي الشهيرة في كتابه «الطبقات»: «وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تتقنه العين، ومنها ما تتقنه

الأذن، ومنها ما تتقنه اليد، ومنها ما يتقنه اللسان...»^(١٥).

نقد شمولي إذاً، ربما نستطيع أن نقول: إنه كان نقداً ثقافياً، وفقاً للارتباط بين الأدب والثقافة. ومثل الجمحي ما حكمت به أم جندب على شعر علقمة وامرئ القيس، فضلاً عن نماذج أخرى^(١٦).

ويمكن أن نعهده أو نسميه نقداً حضارياً، كما يذهب صاحباً (دليل الناقد الأدبي)، وفقاً لتطبيقات طه حسين والعقاد وأدونيس ومحمد عابد

الجابري وعبد الله العروي... بحكم أنه نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها والحضارة باتساعها، مجالاً رحباً لتجلياته، على أساس أن الثقافة كيان معنوي، يمثل عقل الحضارة التي هي كيان مادي تتجلى فيه مظاهر الرقي العلمي والأدبي والاجتماعي^(١٧).

نتائج غير مقنعة :

لقد حاول بعض الباحثين العرب التطبيق على بعض النصوص الأدبية العربية من خلال النقد الثقافي أو التحليل الثقافي، وللأسف فقد كانت النتائج التي توصلوا

إليها أقرب إلى المبالغات والافتعال، وقد سبقت الإشارة إلى بعض نتائج دراسات الغذامي في بعض النصوص القديمة والحديثة في أدبنا العربي، فقد وصل مثلاً إلى أن أبا تمام والمتنبي فحلان سامقان، ولم نر ما أحدثاه في أنساقنا الثقافية من عيوب خطيرة هما وغيرهما، من مثل نزار قباني، وأدونيس الرجعيين، بينما تؤكد المؤسسة النقدية على تقدميتهما^(١٨).

وعلى سبيل المثال أيضاً، فإن باحثاً آخر قرأ اعتذاريات النابغة الذبياني من خلال التحليلات الثقافية، أو التاريخية الجديدة، معتمداً على مقولات «جرينبلات»، ووصل إلى أنها ليست خطاباً زائفاً يقلل من قيمة الشعر أو مروءة الشاعر، بوصفه خطاباً صانعاً للسلطة المدوحة، ومعزراً لقانون الرغبة والرغبة، وإنما هي توظيف عقلاني (١) ذكي لبلاغة الكلمة وسلطة الإضمار النسقي، قصد تأسيس الذات الشعرية الراضية لكل محاولات الاستقطاب السلطوي، والثائرة كذلك على كل محاولات تسليع الفن، أو تأصيل ثقافة الاستجداء من قبل الآخر/



د. عبدالله الغذامي

السلطة...^(١٩).

ولسنا نرى سلطة إضمار نسقي في رجل يضع نفسه موضع «العبد الأمين»، ويجعل ممدوحه ربيعاً «ينعش الناس سيبه»، و سيفاً «أعيرته المنية...» إنه رجل يعيش الرعب، ويود أن ينجو بنفسه بأي ثمن:

أتوعد عبداً لم يخنك أمانة

وتترك عبداً ظالماً وهو ضالع ١٩

وأنت ربيع ينعش الناس سيبه

وسيف أعيرته المنية قاطع...



خاصة بهم، ترتبط بأزمة النقد الثقافي الغربي نفسه وتختلف عنها..

لقد تزامن صعود نجم النقد الثقافي الذي لا يخفى انتماءاته اليسارية الواضحة، وإن كانت لا تصل بالضرورة إلى التبني الصريح للماركسية، مع صعود نجم اليمين الأمريكي منذ منتصف الثمانينيات من القرن الماضي.. وقد تعايش الاتجاهان (اليسار واليمين) لسنوات، بشكل واضح دون أن يضيق أحدهما بالآخر، ومع بداية الزمن الأمريكي الجديد في أول القرن الحادي والعشرين؛ فإن هذا الزمن بدأ يفرض أيديولوجياته.. ولا أحد يدري ماذا سيفعل النقاد العرب؟ هل سيتبعون المدرسة الأمريكية الجديدة، أم سيعودون إلى مذاهب الحداثة الغربية وما بعدها؟ إنها أزمة المثقفين العرب وحدهم (٢١).

وإذا كان النقد الثقافي يعيش مأزقاً تاريخياً؛ فهل يستطيع النقد النسوي أن يحل جانباً من هذا المأزق؟ هذا ما سنعرفه إن شاء الله ■

ومع احترامنا لكل الاجتهادات، فإن لنا أن نختار منها أو نرفض وفقاً للمنطق والإقتناع العقلي..

مأزق النقد الثقافي:

وهذا الاختيار أو الرفض للقراءة يعتمد على مدى الاقتناع بمنطقية القراءة وواقعيتها، وإذا كان قراء النصوص وفقاً للنقد الثقافي، يفرقون في إخضاعها لتأويلات غير مقنعة، فإن النقد الثقافي قد تهاوى تحت مطرقة التغيرات الثقافية نفسها.

إن النقد الثقافي - وهو يساري الهوى - يجد نفسه اليوم في مأزق حقيقي بعد التغيرات السياسية والأيدولوجية والاقتصادية التي يمر بها العالم اليوم في إيقاع لاهت منذ انهيار الاتحاد السوفياتي، مع بداية تسعينيات القرن العشرين، وانهيار ثوابت كثيرة قامت عليها الماركسية الثقافية، والماركسية المعدلة (٢٠).

ومع أن النقد الثقافي تخطته الأحداث داخل الثقافة الغربية التي أنتجت، فإن بعض النقاد العرب ما زالوا مفتونين به ويروجون له في بلادنا، مما وضعهم في أزمة

الهوامش:

- (*) نشر مقال النقد النسوي في العدد ٦٦ من المجلة.
- (١) عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه: دراسة في سلطة النص، سلسلة عالم المعرفة، ٢٩٨، الكويت، ٢٠٠٣، ص ٣٥١.
- (٢) السابق، ص ٣٢٩.
- (٣) فينيس تليش، النقد الأدبي الأمريكي، من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، ترجمة: محمد يحيى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٤١٠.
- (٤) ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ط ٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠، ص ٤٥.
- (٥) عبد الله محمد الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق العربية.
- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠، ص ٧.
- (٦) السابق، الصفحة نفسها.
- (٧) صلاح قنصوه، تمارين في النقد الثقافي، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٣١.
- (٨) الغدامي، النقد الثقافي، ص ٣١.
- (٩) السابق، ص ٣٣.
- (١٠) نفسه، ص ٨.
- (١١) نفسه، ص ٥٧ - ٥٨.
- (١٢) الغدامي، النقد الثقافي، ص ٨٧ - ٨٨.
- (١٣) السابق، ص ٨٨ وما بعدها.
- (١٤) السابق أيضاً، ص ٦٣.
- (١٥) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ت: محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة.
- (١٦) محمد مشرف خضر، تحولات الفكر النقدي في القرن العشرين، ط ٢، دار المصطفى للنشر والتوزيع، طنطا، ٢٠٠٧، ص ١٥٠.
- (١٧) انظر السابق ص ١٦٩، ودليل الناقد الأدبي ص ٣٠٥.
- (١٨) النقد الثقافي: قراءة في الأنساق العربية، ص ٥٩.
- (١٩) يوسف محمود عليجات، جماليات التحليل الثقافي: اعتذاريات النابغة الذبياني نموذجاً، مجلة عالم الفكر، م ١، ع ٥٥، الكويت (يونيو - سبتمبر ٢٠٠٦)، ص ٩٦.
- (٢٠) الخروج من التيه، ص ٣٣٩.
- (٢١) السابق، ص ٣٥١ - ٣٥٢.



إمام المرسلين



عبدالرحمن سليم الضيخ - سورية

يطير بمهجتي نحو الربوع
يذوب بحبه بين الضلوع
تسيل بحر لهفتها دموعي
ويسبح في تباريح الخشوع
بما يطفئ بسلسله ولوعي
عواطف هد أضعفها قلوعي
بروضة مصطفى هاد شفيح
تذيب دموعها أعتى صقيعي
وتلتهب المسارب في نجيعي
إمام الخلق ذا الفضل الرفيع
بهم تزكو الأصول مع الفروع
سما بهما على خير الجموع
ودود خالق بر سميع
وأتباع إلى يوم الرجوع

إمام المرسلين إليك شوق
ويحمل ما تبقى من فؤاد
إذا ارتحل الخيال إلى حماكم
ويخفق مستهما نبض قلبي
متى يا خير خلق الله أحظى
إذا ما جن ليلى تحتويني
تشاغلني دواما ذكريات
سجدت برحبها والعين تجري
فتسمو مهجتي فوق البرايا
بقلبي قية خضرا أظلت
بقلبي صاحبان حوار خير
حباهم خير خلق الله حبا
عليه صلاة رحمان رحيم
على آل وأصحاب كرام



يتجدد حضور هذا الإنسان الرائد في نفوس محبيه كلما ما لاح في الأفق ضوء المنتديات، واستروح عبيرها كل عاشق للفكر والأدب، الأستاذ الشاعر عبد العزيز الرفاعي أحد عمداء الندوات في عصرنا الحاضر، وأحد محتضني اللقاءات الفكرية الفذة منذ أن أنشأ ندوته الأثيرة في مكة ثم في الرياض عام (١٣٨٢هـ) حتى وفاته عام (١٤١٣هـ). ولم يقتصر حضور الأستاذ عبد العزيز الرفاعي على إقامة ندوته (الخميسية) كل أسبوع في داره بحي الملب بالرياض، ولكنه تجاوز ذلك بنشاطه الأدبي عبر سلسلته (المكتبة الصغيرة) وتسجيله التوثيقي لرحلاته في الحج، ومع المكتبات، ورحلته مع التأليف، ومع الشعراء، ومع الأدباء، والمواقف التي تناولهم في مجموعة من كتبه القيمة، ثم ذلك التدفق الوجداني المتوزع في قصائده التي نشرت في ديوانيه الشعريين (السلام عليك) و (ظلال ولا اغصان) وكانت خاتمتها قصيدته البكائية المؤثرة التي نسجها آخر حياته، وألقاها في حفل تكريمه الأخير بالنادي الأدبي في جدة، شهر رمضان عام ١٤١٣هـ - رحمه الله -.



في حضرة الأستاذ عبد العزيز الرفاعي

إنتاجي الشعري (أمل جريح) الذي صدر عن رابطة الأدب الحديث بالقاهرة بعد انضمامي إليها، وقدم له أستاذي الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، صديق الرفاعي. وأذكر أنه بعد انعقاد (ندوة الرفاعي) ذلك المساء الذي كان فيه ترحيب بي وبصدر هذا الديوان الشعري، بأدربي الأستاذ عبد العزيز الرفاعي بسؤال لم أتوقعه



عبدالله سالم الحميد - السعودية

عرفت أستاذي الشيخ الرائد عبد العزيز الرفاعي عبر مقالاته التي كان ينشرها في الصحف، ومن قراءة سلسلته (المكتبة الصغيرة) ومتابعتها حيث كنت أنتظر صدورها لأبادر إلى قراءتها واقتنائها، وكان أول لقاء لي معه في ندوته الخميسية بداره بالملز عام ١٣٩٧هـ حين اصطحبني صديقي الأستاذ معيض بن علي البخيتان لأقدم له باكورة



ديوان

عبد العزيز الرفاعي

(شاعر الأغصان)
(١٣٢٧ - ١٤١٤ هـ)



دار الشؤون الثقافية
بمكة المكرمة

:- لماذا اخترت هذا العنوان «أمل جريح» لديوانك ؟
فأجبته باختصار (أمل مضاف إلى جريح، أنا جريح وهذا أمني، والقصائد الوطنية في هذا الديوان تعبر عن العنوان) وكان صديقي الأستاذ محمد بن أحمد الشدي معجبا بعنوان هذا الديوان الذي قال: إنني وفقت في اختياره مما شجعني إلى متابعة إصدار خمس طبعات من هذا الديوان تجاوز عدد نسخها عشرين ألف نسخة وسط احتفاء إعلامي أثير في الصحافة والإذاعة، والمجلات والدوريات الثقافية آنذاك، ومنذ حضوري تلك الندوة الرفاعية تكثف اهتمامي بالندوات، والأمسيات الأدبية التي كانت من أهم الحوافز والروافد الإبداعية الأثيرة التي يلتقي فيها المثقفون.

وتقديرا لمكانه أستاذي عبد العزيز الرفاعي وحضوره الإبداعي الأثير وأهمية هذا الحضور في تنمية الوعي الثقافي في مجتمعنا ودعمه قمت بدراسة شخصيته الثقافية والإنسانية فأعددت عنه حلقة من برنامجي الإذاعي (شاعر من أرض الجزيرة)، ثم تناولته في برنامجي الإذاعي (رجال في الذاكرة) ضمن نخبة من الرواد الذين تناولتهم في هذا البرنامج التوثيقي الذي تم تقديره في (دائرة الملك عبد العزيز) واختير ضمن الأعمال المكرمة لجائزة التوثيق التاريخي الشفوي عام ١٤٢٤هـ حيث حصلت على (درع التكريم) من الدارة من يد صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، رئيس مجلس الدارة، بالإنابة عن ولي العهد آنذاك الأمير عبد الله بن عبد العزيز في الاحتفال المقام بهذه المناسبة بتاريخ ٢٨/٨/١٤٢٤هـ، بمقر (دائرة الملك عبد العزيز) بالرياض، مما حرصني على إصدار (السفر الأول) من كتاب (شخصيات في الذاكرة)، ثم كتاب (شعراء من الجزيرة العربية) في أربعة أجزاء تناولت فيها

(أربعة وأربعين شاعرا) من ضمنهم أستاذي الشاعر عبد العزيز الرفاعي.

وقد نسجت في شخصيته الفذة قصيدة بعنوان (بوح الوداع الحزين) نشرت في ديوان (السفر في ذاكرة الوطن) تقول أبيات منها :-

صور.. شموخ الشمس تغزلها قبل

وشذى.. تدثر بالندى حتى ابتهل

وخمائل الأرج المنضر تجتلي

كالغيد.. وشحها الربيع إذا اكتمل

ما كان أبدعها نوابغ أمطرت

ثبجا من المثل النبيلات.. الأجل

شجر تمدد شامخا.. وظلاله

سمقت.. سجايه الأفانين الظلل

له درك - يا أبا عمار - إذ

هتفت مآثرك البديعات الحلل



عبد العزيز الرفاعي

وبين عينيه تمثل ملامح الوداع الحزين:

سبعون يا صبحي وجل مصاب

ولدى الشدائد تعرف الأصحاب

سبعون يا للهول أية حقبة

طالت، وران على الرحيق الصاب

تتراكم الأعوام فوق رؤوسنا

حتى تئن من الركام رقاب

لا تعجبوا إن ندأ خاطر متعب

بعد السرى وشكا إليه ركاب

وبعد: فقد نشرت جريدة الجزيرة ملحقاً عن الشاعر

عبد العزيز الرفاعي تكريماً ووفاء له، وكذلك جريدة

المدنية بملحق الأربعاء، وأعدت مجلة الأدب الإسلامي

عدداً خاصاً عنه صدر برقم (٥٤) عام ١٤٢٨هـ.

ولكن المطالبة بتكريمه تتمثل في نشر مجموعتيه

الشعريتين(*)، ونخبة من كتبه التي صدرت في سلسلة

(المكتبة الصغيرة) ونفذت من المكتبات ليتمكن الجيل

المعاصر من القراءة المتصلة لأولئك الرواد الذين كان

لهم حضور أثير في نسيج المجتمع ومنتديات الإبداع ■

(*) صدر شعره كاملاً في ديوان عبد العزيز الرفاعي (شاعر

الأغصان)، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض،

١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

السلام عليك.. قصيدة في ديوان:

للشاعر الرائد الأستاذ عبد العزيز بن أحمد الرفاعي
قصيدة نسجها في شخصية النبي المصطفى محمد صلى
الله عليه وسلم، تعد من روائعه الشعرية، يؤثر من قرأها
أن يعيد قراءتها، ويتأملها دون أي تعليق لأنها قصيدة
روحانية مشرقة بالحضور البهي أمام شخصية عظيمة،
جديرة بكل احترام وتقدير، ولا يملك من يحظى بهذا
الحضور الوجداني الأثير إلا أن يعيد قراءتها ليستمتع
بتجليات الوجدان الشعري الإنساني فيها.

يقول في مطلع قصيدة (السلام عليك) عن النبي
المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم:

المبدعون، وكيف لي أن أبدعاً

قطفوا الروائع، لم أجد لي مطلقاً

ضفروا لسدتك النجوم فزاحموا

فيها، فما تركوا هنالك موقعا

ذهبوا بمدحك حيث ما ذهب الهوى

فحسبتهم أهدوا إليك روائعاً

ولقد ظننت بأنهم بلغوا الذرى

فإذا بمجدك لا يزال روائعاً

قصيدة (سبعون) خلاصة تجربة الرفاعي:

في أواخر أيام حياته قام النادي الأدبي بجدة

بتنظيم حفل ثقافي لتكريم الرفاعي ولكن الشاعر -

المكرم - الذي رأى معاناته وتجربته في الحياة مكتظة

بهواجس، أثر أن ينسجها في مشاعر فياضة معبرة في

قصيدته عن سبعين سنة أنفقها في البحث والتأمل

والقراءة والتدبر والعطاء، جاءت المشاعر متدفقة

لتؤكد الحضور الأثير في نسيج الإبداع، ها هو الشعر

ينهمر ليكون مسك الختام لتجربة عمر حافل بالعطاء

والإيثار والحضور الأمثل، والحاضرون المشتركون في

الوفاء والتكريم أذان صاغية لهذا النبض الوجداني

الأثير حين يتدفق الشاعر عبد العزيز الرفاعي قائلاً



عام مضى

— جميلة هادي الرجوي - اليمن —

عامٌ مضى يشكو جهالة أهله
قتلٌ وتدميرٌ وحقدٌ يمتطى
وزهورُ أرضِ الياسمينِ تدنسَتْ
وتئنُّ.. في جنَبَاتِهِ الآلامُ
تفنى به الأوطانُ والأحلامُ
وتسابقَتْ في سحقِها الأقدامُ

* * *

بكتِ السَّما والأرضُ زلزلها الصدى
فاضت بدجلةَ والفراتِ مدامعُ
والطائفيةُ في سكيرِ الهبتِ
راحت طيورُ الأرضِ تهجرُ أيكها
والظالمون قلوبهم أصنامُ
والقومُ سكرى فجرهم إظلامُ
أرضُ الرّشيدِ.. وسادتِ الأقسامُ
من غير زادٍ في الهوانِ تسامُ

* * *

في كلِّ بيتٍ في العراقِ ضحيةُ
إنَّ الجهادَ.. فريضةٌ قدسيةُ
ليس المجاهدُ من يجورُ ليعتلي
هو رحمةٌ لأخيه يعضدُ جهدهُ
باسمِ الجهادِ تقطّعُ الأرحامُ
نحو العدوِّ تصوّبُ (الأسهامُ)
عرشُ الحياةِ.. وفكرُهُ هدامُ
وعلى الدخيلِ صواعقُ وحمائمُ
لبي نداءَ الدينِ منتصراً لهُ
في الله يحلو الموتُ والإقدامُ

* * *



ظل أبداع المرأة العربية طوال القرون الماضية متوشحاً بالسواد، ومجلاً للدموع والدماء، منذ أن وقفت نالخة بنى سليم سيدة الشعراء نساءً نزلت أجاسها في سوق عكاظ، وكانها رسمت حول الشعر النسائي دائرة من الدموع والآثين والأحزان، فلم يعد الشعر عندها إلا الزينة، وصارت تسأل: غرضه... ولم نعرف على مر القرون من نبات جسدها من كسرت تلك الطوق أو مدت أظافرهما لتمزق جدار الشريقة الانتوية المحاصرة بطوفان الدموع والآلم والفقدان واللوعة إلا ما ندر، فالمرأة عندها - كما تقول نوال مهني - محاطة بقيود صارمة بعضها موروث، وبعضها بحكم ظروفها العائلية، وأغلب هذه القيود من صنع الرجل، فالرقابة على المرأة تتعدى حدود الرقابة على تصرفاتها إلى الرقابة على فكرها وخيالها، أي منعها حتى من التعبير عن أفكارها ومشاعرها، للدرجة محاولة تفسير كل ما تكتبه لغير صالحها، بل والبحث بين السطور عن أدلة اتهام ضدها!!



«نوال مهني» شاعرة الوادي..

منه النبائية إلى الفضيلة المطلقة

الأنثى بقيمة البطولة والشجاعة والقداء والصبر، بل المشاركة في سائر ميادين الحياة.

ولعل الشاعرة نوال مهني، من أولئك الشاعرات اللاتي شاركن في الحياة الأدبية بإسهامات بارزة ومتنوعة، فقدمت أعمالاً تجاوبت مع معطيات واقع الأمة وحمومها.



محمد عبد الشافي - مصر

ولكن، أخيراً أفلح الشعر النسائي في الخروج من قفص الحريم المخملي، فإذا به يتفاعل مع ما يموج به عالمنا من صراع دام، ومواجهات عنيفة، وإذا به يتدفق هادراً صاحباً، وإذا به يندفع إلى خطوط المواجهة شاهداً ومؤرخاً ومترجماً لإحساس

العروضية الطويلة؛ حتى يأخذ الشاعر براحه وارتياحه، ولكن شاعرتنا في تحدٍ ربما لم تقصد إليه قصداً، تصوغها في البحور القصيرة التي تصلح لغير هذا الغرض، فتصيب توفيقاً ربما لم يكن ليتحقق لها ولا لغيرها إلا من خلال ملكة سخية معطاء، وامتلاك لناصرية القريض ونصاعة البيان.

وفي زحام الحياة، وتوالي الأحداث، وفي ظل غفلة الأمة بفعل عوامل التخدير والتغيب والتذويب الحضاري، لم تتسّ الشاعر أن في «الشيشان» لها إخوة في العقيدة، يواجهون حرب إبادة من طواغيت الكفر الذين

السلبية التي أرقت الضمير العربي والإسلامي أكثر من نصف قرن من الزمان، فشاعرتنا تدعوها إلى مزيد من الصبر والصمود، حتى يتحقق الوعد، ويظلها وعد السماء، أو كما تقول الشاعرة:

**فلسطين صبراً هو الله أكبر
يبدل ويمحو ظلوماً تجبر
لنا الوعد يسحق أحقاد خبير
وسوف يظلك وعد السماء
فلسطين صبراً لهذا البلاء**

الأمر العجيب في شعرها السياسي والملحمي أنها تصور فيه عوائق وقيوداً، وثورة وتمرداً وتحقيق نصر واقتناص فوز، وغيرها من المعاني التي يصوغها الشعراء في نطاق البحور

فرسمت لوحات بديعة في الشعر والنثر والمقال والمسرحية، عرضت من خلالها صورة حية وواقعية لما أصاب الأمة من تصدعات ونكبات ونوازل في عصر الهزائم والاستلاب الحضاري والتمزق السياسي الراهن، وبذلك ارتفعت برسالة الإبداع النسوي عن نمطه التقليدي الذي عاش قروناً في القمقم الأنثوي منكفئاً ومنعزلاً وملتبساً حول الهموم والمشاغل الذاتية الضيقة؛ إلى استشراف مستقبل أفضل ومحاولة المشاركة في صناعته وترسم خطاه.

لقد شاركت «شاعرة الوادي» أخواتها الشاعرات العربيات في تشخيص أدواء الأمة، واستنهاض عزائمها، وتحريضها طلباً للثأر ممن نالوا من كرامتها، واستباحوا حرماها ومقدساتها، ومن هؤلاء الشاعرات: فدوى طوقان، وعليه الجعّار، وسعيدة خاطر، وإنصاف بخاري، ومباركة بنت البراء، وثرى العسيلي، وفاطمة عبد الحق، وغيرهن.

وقد كتبت شاعرتنا عدداً وافراً من القصائد المزوجة بالدماء، المفسولة بالدموع، في أثناء استعراضها لواقع الأمة الجريح من البلقان إلى الصومال، ومن الشيشان المنسية إلى بغداد الأسيرة، إلى فلسطين





يصبون عليهم أطنان المتفجرات
والقنابل صبا، فتدعوهم إلى
الاعتصام بالإيمان الذي هو
وحده كفيل بسحق جحافل
الإلحاد، فتقول:

مهما تمادى الظلم والظفیان
لا تترکي الميدان يا شيشان
بل صابري عند الجهاد وأبشري
لا لن يقيم بأرضك العدوان
واستعصمي بالصبر في يوم الوغى
فمن الشدائد ينضج الإنسان
كل القنابل لن تميت عقيدة
دستورها وشعارها القرآن
هذي الجحافل رغم كل ضلالها

فلسوف يسحق رأسها الإيمان
إن الشاعرة في هذا العصر،
أينما تول وجهها، لا ترسوى أشلاء
تتمزق، ودماء تتدفق، ومنازل
تتحرق، ومساجد تهدم، وحرمان
تنتهك، وترى إخوانها في العقيدة
ما بين جريح وأسير وقتيل، ولا
ناصر لهم في ظل العالم المستكبر
الذي ضللت أبقاع الإعلام والدعاية
الصهيونية، فالحل من وجهة نظر
الشاعرة الإسلامية نوال مهني هو
دعوة المسلمين جميعاً إلى الجهاد
المقدس، الذي لا تسترد الأوطان
بدونه:

لا ثم بعد للصمت قُطْ موضع
ضاق الخناق وضاعت الأوطان
غير الجهاد فليس يجدي منطق
فالكفر صال وتُعبد الأوثان

كبيراً، فتأثرت به، وسارت على
دربه، ووفاء منها، نراها تخاطبه
في ذكراه، وتلقبه بـ«دولة الشعر»
وتعزو إليه فضل البيان الذي
ارتشف منه القريب والبعيد:

سلاماً لشوقي أمير القوافي
وكرمة هاني بها العطر صال
فليس لمثلك جد قرين
وفضلك في الشعر ليس بخاف
فكنت النشيد إذا الشرق غنى
وكنت العزاء لشعب يعاني
وكنت الحنين لأرض الخلود
وكنت السفير لأحلى المغاني
فيا دولة الشعر باهي بشوقي

وحياي أميرك في كل آن
إن شاعرية نوال مهني جزء لا
يتجزأ من حياتها، وصورة أصيلة
مضيئة من شخصيتها، وترجمان

بل كيف نرضى بالسكوت مواقفاً
وشريعة الإسلام كيف تهان
أجدادنا أصل الجهاد وأهله
يروى التراث وتشهد الأزمان
يدعون جند الحق هيا انفروا
كي يسقط الإرهاب والظفیان
وهكذا رأينا الشاعرة كسائر
شعراء الأمة الأصلاء، تصوب
قصائدها، وتوجه إبداعاتها
للتفاعل مع قضايا وطنها وأمتها،
أماً في استنهاضها من غفلتها،
حتى تستأنف مسيرتها ورسالتها
الحضارية المنوطة بها. وقد
تأثرت شاعرتنا بمن سبقوها من
المبدعين الكبار الذين نافحوا
عن قضايا الإسلام والذود عن
حياضه، كأمر الشعراء أحمد
شوقي.. الذي بلغ افتتانها به حد

وكما وقف البارودي وشوقي وحافظ وأحمد محرم وسواهم من شعراء الوطنية الكبار أمام «النيل» متدلّين به، شاكين له ما يعتصرهم من هموم وآلام، كذلك وقفت الشاعرة أمام النيل، مستلهمة من عبقريته وفضله وخيره وبركاته التي عمّت الوادي بأسره، والتي زيّنت الأرض وأقامت حوله حضارة إنسانية؛ شاكرة فضل الله تعالى، ومدركة أنه يجري من عنده سبحانه، دونما حيرة واضطراب، كما حدث مع «شاعر الطلاسم»، فقالت:

كم فاض النيل بوادينا
كم شاد النهر بماضينا

وبرغم دعاوى القوم ومزاعمهم بأن مملكة الشعر تهاوت ودالت دولتها، وأن فن الرواية أضحى ديوان العرب، إلا أن شاعرتنا لا تشاطرهم ذلك الرأي، مؤكدة أن «الشعر وعاء عميق متنوع يحوي القصيدة والموشحة والأنشودة والملحمة والقصيدة الدرامية التي تحوي بداخلها القصة، بل إن بيت الشعر الواحد يحوي من الحكمة والعبرة والفكاهة والمثل» وقالت في ذلك أيضاً:

الشعر في طبع العرب
رمز النجاة والأدب
ديوانهم وسجلهم
فيه الأصالة والطرب
وفصاحة نسبت لهم
أكرم به هذا النسب

صادق لأحاسيسها ومشاعرها، فهي تحيا بالشعر الذي يعينها على الصبر على نوائب الزمن وعوائده، ويمنحها الأمل في الحياة، فتطلق له خيالها، أو كما تقول: «إن الشعر يعطيني فرصة لتفريغ الانفعالات، التي لو كتبها الإنسان لكانت كفيلة بأن تدمره، كما أن الشعر له أثر بالغ في التآسي به على الهموم والمحن والأزمات، كذلك من الشعر نستمد الحكم ونستخلص الدروس والعبر؛ لأنني أؤمن برسالة الأدب في الحياة عامة، وأؤمن كذلك برسالة الشعر ودوره في تغيير المجتمع إلى الأفضل، أو الذي ينبغي أن يكون عليه؛ فهو يحقّر الهمم، وينقي النفوس ويزكيها من خلال ترسيخ القيم النبيلة العليا، ويساعد على نشر المعاني الرفيعة والعواطف الرقيقة، لأنه يدعو إليها ويحث عليها ويبرز مزاياها ويشرح فضائلها» وراحت شاعرتنا تعارض قصيدة «الشعر والحياة» للشاعر الكبير محمد انتهامي، قائلة:

هو الإبداع توحيه حياة
تبوح بسرّه حيناً وتكني
كيف يحيط بالفنان سور؟
وفي أعماقه حرّ يغني
فلولا الفن ما ذقنا جمالاً
ولولا الحب ما عشنا لبنني





والشطّ تُباهي خضرته
كَي يخطب ودّ رواينا
هالنيل رحيق مختوم
يعطينا خصباً لا طينا
هبة الرحمن إلى مصر

هبة الرحمن لوادينا
هذا، وقد كتبت شاعرتنا
في جميع أغراض الشعر وفنونه
سواء في الوصف أو المدح أو الفخر
أو الرثاء... إلّا الهجاء الذي لم
تكتب فيه شطراً واحداً؛ لأنّ قلب
الشاعرة الإسلامية مملوء بالحب
والعطف والحنان ومفعم بالرحمة

والإيمان، فلم يجد الهجاء إلى
لسانها سبيلاً، وليس من عجب
أن يغلب فن الوصف بالذات على
إبداعها، فتوليه اهتماماً بالغاً،
وتجيد فيه أيما إجادة، ذلك
الفن الذي كان النقاد القدامى
يرون أنه لا تكتمل للشاعر أسباب
النبوغ إلّا إذا أجاد شعر الوصف
بعامة، ووصف الطبيعة بخاصة،
وقد أجاد في هذا اللون أبو
تمام والبحري وابن الرومي
والصنوبري والمعتمد بن عباد...
وغيرهم، فسارت الشاعرة على
درب هؤلاء الرواد... فلنستمع
إليها في رائعتها «دعوة للأمل»:

إن رأيت الروض يندوي
لا تقف خوفاً ويأساً
أو رأيت الزهر يفو
سوف تزدان الروابي

البيان لسحراً، وإنّ من الشعر
لحكمة!

ونختم حديثنا هذا، ونحن
رافعين أكف الضراعة ومُبتَهلين
إلى الخالق البارئ الحبيب -
سبحانه وتعالى- نور الوجود،
المفوض إليه الأمر كله، ومُرددين
مع الشاعرة الإسلامية الكبيرة
نوال مهني:

يارب أشكو ضارعا
أنت المجيب ولا سواك
أنت الغفور لتائب
أنت السميع لمن دعاك
أمري إليك مفوض
من ذاك يعصم من قضائك
نور الوجود بكوننا
لهبات فيض من سناك
أنت الحبيب ودائماً
القلب يخفق من هوائك ■

ورقيق الفصن يهوي

حين يكسو الروض عُشب

أو سمعت النهر يشكو

وتعود الوُزْق تشدو

لابساً ثوب الفقير

فغدأ يأتي الربيع

ممسكاً فيه العبير

في محياها البديع

من جفاف يستجير

نافضاً عنه الصقيع

بأكياً فيه الخريز

في حمى الزهر الوديع

والحق، أننا في حاجة إلى

مزيد من ذاك الشعر العذب

الجميل، الموشح بالحلّ البيانية،

والمطرز بالصور البديعة، والقيم

والمعاني الإنسانية النبيلة، الذي

يستحق الوصف الشريف «إنّ من

هل فاتت الأوان؟!؟

كان على حساب أشياء كثيرة في
حياة الأنثى خاصة.

كانت في عزلة عن العالم كأنها
تعيش في كوكب آخر، لا تدري شيئاً
عما يجري حولها حتى في أسرتها
الصغيرة. من حولها من أخوات
أو قريبات أو جاررات يخطبن، أو
يتزوجن، أو يطلقن، أو ينجبن، أو
غير ذلك، وهي لا تدري عن ذلك
كله شيئاً.

وقل أن لبت دعوة إلى حضور فرح
أو مناسبة، وإذا فعلت جلست على
مضض، لا تكاد تشعر بما يجري من
حولها، بل تستعجل انقضاء الوقت
حتى تعود إلى عالمها الأثير.

وكانت سنوات عمرها تتطوي
سريعة عجلت. تقدم لخطبتها بعض
الرجال، ولكنها أبت ذلك كل الإباء،
ثم تجد نصائح أمها التي قالت لها
عدة مرات:

- الزواج يا أحلام سنة الحياة..
وهو حاجة إنسانية..



د. وليد قصاب

تحقق نجاحاً إثر نجاح، كانت
الأولى دائماً، يشار إليها بالبنان،
كانت الفيرة من نجاحها وتقوفا
تأكل قلوب زميلات بل قلوب جميع
من حولها.

ثم عشقت الكتابة، وراحت تمارس
الإبداع. أخذت ترسل ما تكتبه
إلى الصحف والمجلات، فوجدت
تشجيعاً منقطع النظير، وأصبحت
كتابات الجريئة المثيرة تحتل أحياناً
صدر الصفحات الأولى، وبدأ اسمها
يلمع ويكبر يوماً بعد يوم. ولكن هذا
النجاح الباهر كان يكلفها الكثير،

منذ أن زارت أختها إلهام تغيرت
نظرتها إلى الحياة، بدأت تغزوها
هواجس وأفكار لا عهد لها من قبل.
كانت راضية مطمئنة، تشعر أن
كل شيء على ما يرام، لم يعتراها
أي إحساس أن شيئاً في حياتها غير
طبيعي.

كانت تثقتها بنفسها وبأسلوبها في
إدارة حياتها ثقة مطلقة لا يشوبها
أي شك، فاخرت - باستمرار -
بقدرتها الخارقة على خرق
المألوف، والخروج على النمطي
المعهود، وعلى صنع عالم خاص بها
لا تستطيع الكثيرات من بني جنسها
أن يصنعن مثله.

كان عالمها كتاباً وقلماً، ثقافة
وقراءة. شبت على ذلك منذ
طفولتها المبكرة. استهوها الكتاب،
عشقه عشقاً لم تمسقه أم لأطفالها،
ثم صار عالمها الوحيد الذي لا تعرف
عالمًا آخر غيره.

مضت في الدراسة جادة دؤوباً،



- سأتي يا إلهام.. سأتي إن شاء الله.

ذهبت. منذ سنوات لم تزر أختها، حتى كادت لا تهدي إلى البيت بسهولة. زارتها أيام زواجها الأولى، باركت لها، و «نقطتها» ثم زارتها بعد ذلك مرات معدودات. استقبلتها أختها بفرح عامر، واستقبلتها أخواتها الأخريات جميعا ببهجة وحبور، ولكن ذلك كله كان ممزوجا بالعتاب الصادق الودود لتقصيرها في زيارتهن..

وبينما كانت أحلام جالسة عند أختها حاضرة غائبة: حاضرة بجسمها، غائبة بذهنها تفكر بأوراقها وكتبها، وهي تتعجل انتهاء هذه الزيارة التي لم تجد مندوحة عن تلبيتها، دخلت ابنة أختها الصغيرة «بيان» كانت طفلة جميلة رائعة، تتدفق حيوية ولطفًا. اندفعت نحو خالتها «أحلام» بحميمية طفولية عجيبة جعلت الجميع يستغربون:

- خالتي أحلام.. اشتقنا إليك كثيرا.. لماذا لا تزورينا يا خالتي؟.. طرقت كلمة «خالتي» لأول مرة سمع «أحلام» كانت تخرج من فم هذه الصغيرة البريئة باهرة عذبة، كأنها نعمة سيمفونية رائعة، أو زقزقة عصفر نشوان!

واندفعت الصغيرة التي لما تبلغ الرابعة من عمرها فجلست في

يقصم ظهرها قصمة شديدة الإيلام إلا موت أمها. أحست فعلا بالوحدة، واستشعرت طعم القلق لأول مرة. أصبحت وحيدة في بيت الأسرة الواسع الكبير، بعد أن تزوج إخوتها وأخواتها جميعا، وانتقل كل واحد منهم إلى بيته الخاص. روضت نفسها على حياتها الجديدة، ومضت في سيرتها الأولى المعهودة.

رزقت أختها الصغرى إلهام مولودا ذكرا بعد ثلاث بنات، ففرحت الأسرة به غاية الفرح. وأقامت الأم بهذه المناسبة - حفلة، ودعت إلهام أختها الأستاذة أحلام. ولأنها دعتها من قبل مرات عدة ولم تلب، قالت لها في هذه المرة بلهجة تحذير ومودة:

- لن تعتذري يا أحلام هذه المرة.. لن أقبل اعتذارك.. ولن أقدر ظروفك.. ولن أحدثك بعد اليوم إذا لم تأتي.. هكذا ألقت إلهام هذا الكلام كله دفعة واحدة في وجه أحلام حتى تقطع عليها حبل أي مسوغ للتخلف.. ردت أحلام مستسلمة غصبا عنها:

- سأحاول يا إلهام.. ورددت إلهام بحزم أشد:

- بل ستأتين.. أسمعيني إياها مؤكدة يا أحلام..

لم تملك أحلام إلا أن تقول:

كانت تقاطعها دائما محتجة منهية حديثا لا تحب له أن يطول:

- أنا سعيدة يا أمي بعالي.. لا أشعر أن شيئا ينقصني.. وتصر أمها أحيانا على الاستمرار فتقول لها:

- إنها سعادة مؤقتة يا أحلام.. ستشعرين في غد قريب بالحاجة إلى زوج وأولاد.. لا يمكن لامرأة أن تعيش وحيدة إلى الأبد..

لا أشعر أن شيئا ينقصني، تلك كانت عباراتها التي ترددها باستمرار كلما حادثها أحد في موضوع الزواج.

كان ما يفدق عليها من الثناء، وما يكتب عنها من الإطراء يشعرها أنها غير الأخريات جميعا، إنها أنثى من طراز فريد، تصنع ما لا تستطيع الأخريات أن يصنعه.

لم تكن تزور أو تزار إلا نادرا، حتى أخواتها اللاتي تزوجن جميعا، وصار لهن أولاد، لم تكن تجد الوقت - كما تقول - حتى تزورهن. وقتها مشغول مستهلك دائما.

أين أذهب بهذه الأكوام من الكتب والصحف والمجلات التي علي أن أقرأها؟ وأين أذهب بأوراق الطالبات المتكدسة على مكتبي تنتظر القراءة والتصحيح والتعليق؟..

الزمن يمضي وهي تزداد انتشاء وسعادة بما تحقق من نجاح، لم

والطفلة متعانتان بشكل عفوي رائع.

ما أروع هذه الطفلة ! ما أبهاك يا بيان؟

تحس هذه الخالة - لأول مرة -
بمشاعر دافئة تنبض في أعماقها،
تشعر - لأول مرة - أن شيئاً هاماً
ينقصها.

* * *

دعت إلهام أختها لتعشى عندها، ولم تصدق أذنيها عندما هزت الأستاذة رأسها موافقة بعد أن كان شرط موافقتها على الحضور أن تجلس نصف ساعة على الأكثر ثم تنصرف بسبب كثرة أعمالها. قامت إلهام - غير مصدقة سخاء أختها بالوقت - لتصنع العشاء، وكانت بيان قد غفت في أحضان خالتها.

أطالت أحلام السهر عند أختها، ولم تقلت الطفلة الغافية في أحضانها لحظة واحدة..

خرجت من بيت أختها في آخر الليل بمشاعر لم تألفها من قبل، لم تستطع أن تنام تلك الليلة، كانت فقط تغمض عينيها على طيف بيان الرائع الحبيب، يسري في جوانحها خدر لذيذ، وشوق إلى عالم طالما استهانت به، وكان يهجس في أعماقها هاجس ممزوج بالهفة والقلق: هل فات الأوان؟ ■

و«الفهرتة» قد أزعجت خالتها الجادة الوقور التي لا تكاد تزورهم إلا في مناسبات معدودة، فصاحت بها:

كفى يا بيان.. ابتعدي عن خالتك ولا ترعجيهما.. ولكن بيان كانت تزداد التصاقاً بخالتها، وحاولت إلهام أكثر من مرة أن تبعد الصغيرة عن خالتها، ولكن

حضن خالتها، وطوقتها بذراعيها، وراحت تمطرها بالقبلات.. كان هذا الموقف جديداً على أحلام، لم تعش جو المرح الطفولي هذا من قبل، لم تستشعر في غمرة استغراقها في أوراقها وكتبها وأقلامها براءة الأطفال، ولا بهجة الصغار المتدفقة الغامرة.. وكانت «بيان» قد عانقت خالتها، والتصقت

بها بود عجيب وهي التي لم ترها إلا مرة أو مرتين في حياتها، كانت تحركها غريزة الطفولة، وكانت الكلمات تتقاذف من بين شفتيها مثل نغمات الكمان:

- خالتي «أحلام».. أنا أحبك كثيراً.. وأمي تحبك كثيراً.. نذكرك دائماً.. حدثني أمي عنك طويلاً.. قالت لي: إنك شاطرة متفوقة، أريد أن أكون مثلك يا خالتي.. أحست أحلام أنها تستغرق في نشوة رائعة لا عهد لها بها، تفجرت في أعماقها - في لحظة واحدة - مشاعر الأمومة والحنين واللهفة.

كم هي رائعة هذه الطفلة! احتضنت أحلام ابنة أختها الصغيرة «بيان» بحرارة، ضمتهما إلى صدرها بكل ما ملكت من المشاعر الدافئة.

دخلت «إلهام» فوجدت بيان في أحضان أختها، خشيت أن تكون هذه الصغيرة المعروفة بـ«الشقاوة»

كلاً من الخالة والطفلة كانت متشبثة بالأخرى تشبثاً عجيباً، كان رأساهما ملتصقين، وقد أغمض كل منهما عينيها في استغراق حاملة. وكانت أحلام تقول منتشية:

- اتركيها يا إلهام.. دعيها في أحضانني أرجوك.. دخلت إلهام وخرجت أكثر من مرة، والخالة

